

# الصيد والسمكات

الدكتور  
محمد عمر الحاجي

محمد بن عبد الله

رسوم : إياد عيساوي

إياد عيساوي

## الطبعة الأولى

### جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: [almaktabi@mail.sy](mailto:almaktabi@mail.sy)

  
للطباعة والنشر والتوزيع  
[www.almaktabi.com](http://www.almaktabi.com)

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

اصْطَحَبَ (أَبُو عَلِيٍّ) أَوْلَادَهُ مَعَهُ  
إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،  
حَيْثُ اسْتَمَعُوا إِلَى خُطْبَةِ هَارِثَةَ  
وَمُفِيدَةَ ، تَحَدَّثَ فِيهَا خَطِيبُ الْجُمُعَةِ  
عَنْ وَاحِدٍ مِنْ أَخْلَاقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ،  
وَهُوَ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَحَفِظَ (نَادِرٌ) مِنَ الْخُطْبَةِ أَشْيَاءَ  
كَثِيرَةً ، نَقَلَهَا إِلَى أَهْلِهِ فِي مَسَاءِ ذَلِكَ  
الْيَوْمِ ، وَكَانَ مِنْهَا مَا يَلِي :

مِنْ مَعَانِي التَّوَكُّلِ أَنْ يُقَدِّمَ الْإِنْسَانُ  
عَلَى كُلِّ مَالَةٍ عِلَاقَةً بِالْأَمْرِ ، فَيُخَطِّطُ  
وَيَحْسُبُ وَ..... ثُمَّ إِذَا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ ، عَزَمَ  
أَمْرَهُ ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ الْقِيَامِ بِالْعَمَلِ ،  
وَهُوَ بِذَلِكَ قَدْ سَلَّمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ ، وَفَوَّضَ لَهُ  
كُلَّ شَأْنِهِ ، فَبَعْدَ اتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ كُلِّهَا ،  
كَالِدِّرَاسَةِ بِالنَّسْبَةِ لِلطَّالِبِ مَثَلًا ، يَرُدُّ  
أَمْرَهُ كُلَّهُ إِلَى اللَّهِ .

وَهَذَا مَا نَلَمَحُهُ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ ،  
 عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . فَمَثَلًا يَعْقُوبُ - عَلَيْهِ  
 السَّلَامُ - يَأْمُرُ أَوْلَادَهُ بِأَخْذِ الْحِيطَةِ ،  
 وَالْحَذَرِ ، ثُمَّ التَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ : ﴿ وَقَالَ  
 يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ  
 مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ  
 أَحْكَمْتُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
 الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١) .

وَهُودٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَذْكُرُ ذَلِكَ  
 بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي

(١) سورة يوسف: ٦٧ .

وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي  
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾.

وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ - صَلَوَاتُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ - تَأْتِيهِ التَّعَالِيمُ الرَّبَّانِيَّةُ بِأَنْ  
يَلْتَزِمَ خُلُقَ التَّوَكُّلِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ  
وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ  
خَبِيرًا ﴾ (٢).

وَنَجِدُ الْحُضَّ عَلَى التَّوَكُّلِ فِي قَوْلِهِ  
سُبْحَانَهُ: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ

(١) سورة هود: ٥٦.

(٢) سورة الفرقان: ٥٨.

وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ  
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ  
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾ .

وَفِي النُّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْخُطْبَةِ ،  
حَدَّرَ الْخَطِيبُ مِنَ التَّرَدُّدِ ، وَعَدَمِ حَسْمِ  
الْأُمُورِ ، وَذَلِكَ فِي أَيِّ مَسْأَلَةٍ مِنَ  
الْمَسَائِلِ .

وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ (نَادِرٌ) ذَلِكَ ، صَفَّقَتْ  
لَهُ وَالِدَتُهُ عَلَى قُوَّةِ انْتِبَاهِهِ ، وَسُرْعَةِ

(١) سورة آل عمران: ١٥٩ .

حِفْظِهِ ، وَبِدِيهَتِهِ ، وَدَعَتِ اللهُ سُبْحَانَهُ  
أَنْ يَجْعَلَهُ فِي طَلِيعَةِ الْمُتَفَوِّقِينَ ، فِي  
أُمُورِ الدُّنْيَا ، وَأُمُورِ الدِّينِ.

وَفِي ظِلَالِ أَشْجَارِ الْيَاسْمِينِ  
وَبَعْدَ سَاعَةٍ تَقْرِيْبًا اجْتَمَعَ أَفْرَادُ  
العَائِلَةِ فِي ظِلَالِ أَشْجَارِ الْيَاسْمِينِ  
المَرْزُوعَةِ بِمَحَاذَةِ سُورِ حَدِيقَةِ  
الْبَيْتِ.

وَبَيْنَمَا كَانُوا يَشْرَبُونَ الشَّايَ  
بِاللَّيْمُونِ إِذَا (بِأَمِّ عَلِيٍّ) تَتَوَجَّهَ إِلَى  
الأَوْلَادِ وَتَقُولُ لَهُمْ: لَقَدْ تَذَكَّرْتُ قِصَّةَ

عَنِ التَّرُّدِ ، وَعَوَاقِبِهِ الْوَحِيمَةِ ، وَكُنْتُ  
قَدْ سَمِعْتُهَا مِنْ جَدَّتِكُمُ الْمَرْحُومَةِ  
(أُمِّ سَلِيمٍ) رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى!  
وَمُلَخَّصَهَا مَا يَلِي:

### حِوَارُ الصَّيَّادِينَ!!

كَانَ يَأْمَا كَانَ ، كَانَ فِي قَدِيمِ  
الزَّمَانِ ، كَانَ بِجِوَارِ أَحَدِ الْأَنْهَارِ جَدْوَلٌ  
رَقْرَاقٌ ، يَعِيشُ فِيهِ ثَلَاثُ سَمَكَاتٍ ،  
وَكَانَتْ عَيْشَتُهُنَّ تَتَّسِمُ بِالْهُدُوءِ ،  
وَاللَّيْنِ .

وَكَانَتْ إِحْدَى تِلْكَ السَّمَكَاتِ ذَاتِ

عَقْلٍ وَاعٍ ، وَذِهْنٍ حَصِيفٍ ، بَيْنَمَا كَانَتْ  
الثَّانِيَةَ أَقْلَ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْأُولَى مِنْ حَيْثُ  
الفَهْمِ وَالْحَرَكَةِ ، وَأَمَّا السَّمَكَةُ الثَّلَاثَةُ ؛  
فَكَانَتْ مُتَرَدِّدَةً ، وَبَطِيئَةً التَّفْكِيرِ ،  
وَلَا تَحْسِمُ أَمْرَهَا أَبَدًا .

وَذَاتَ يَوْمٍ كُنَّ يَسْبَحْنَ فِي مَرِحٍ  
وَخِفَّةٍ وَنَشَاطٍ ، وَإِذَا بِهِنَّ يَسْمَعْنَ  
اِثْنَيْنِ مِنَ الصَّيَّادِينَ عَلَى الشَّاطِئِ  
يَتَحَدَّثَانِ عَنْ سُهُولَةِ الصَّيْدِ فِي هَذَا  
النَّهْرِ؛ حَيْثُ قَالَ الصَّيَّادُ الْأَوَّلُ  
لِلثَّانِي:

أَلَا تَرَى: أَنَّهُ مِنَ الْيَسِيرِ عَلَيْنَا أَنْ

نَحْصُلَ عَلَى حَاجَتِنَا مِنَ السَّمَكِ فِي هَذَا  
الْجَدْوَلِ دُونَ عَنَاءٍ أَوْ مَشَقَّةٍ؟ فَالْصَّيْدُ  
فِيهِ لَا يُكَلِّفُ جَهْدًا ، وَلَا يَتَطَلَّبُ الْقِيَامَ  
بِعَمَلٍ مُضْنٍ. أَلَيْسَ مِنَ الْمَلَائِمِ أَنْ نَبْدَأَ  
الصَّيْدَ غَدًا فِي هَذَا الْجَدْوَلِ ، وَنَرْفَعَ عَنْ  
كَوَاهِلِنَا عِبَاءَ الْبَحْثِ فِي الْأَنْهَارِ  
الْمُتَلَاطِمَةِ الْأَمْوَاجِ؟!

قَالَ الثَّانِي:

لَأَرِيْبَ: أَنَّ هَذِهِ الْجَدَاوِلَ فُرْصَةٌ  
سَانِحَةٌ لِلصَّيْدِ الْمُرِيحِ ، فَلَيْسَ فِيهِ  
صُخُورٌ تَعْتَزُّضُ شِبَاكَنَا ، وَلَا أَشْوَكَ

تُدْمِي أقدامنا ، ولا سُنْفُنْ تُثِيرُ المَوْجَ ،  
فَيَفِرُّ السَّمَكُ مَدْعُورًا ، وَيُخَيِّلُ إِلَيَّ : أَنَّهُ  
هَيْبَةٌ مِنْ اللهِ لِلْمُتَعَبِينَ أَمْثَالِنَا ؛ حَتَّى  
تُخَفِّفَ عَنْهُمْ بَعْضَ مَا يُكَابِدُونَ مِنْ  
تَعَبٍ ، وَإِرْهَاقٍ !!

فَمَاذَا فَعَلَتِ السَّمَكَاتُ الثَّلَاثُ بَعْدَ  
أَنْ سَمِعْنَ حِوَارَ الصَّيَّادِينَ ؟!

سَمَكَتَانِ ذَكِيَّتَانِ !!

وَحِينَ سَمِعَتِ السَّمَكَاتُ الثَّلَاثُ  
حِوَارَ الصَّيَّادِينَ ، بَادَرَتْ أَدْكَاهُنَّ  
بِالْهَرَبِ إِلَى النُّهْرِ خِلَالَ فَجٍّ عَمِيقٍ

يَصِلُ بَيْنَهُمَا ، وَلَبِثَتِ الثَّانِيَةُ مَكَانَهَا  
رَيْثَمَا يَطْلُعُ الْفَجْرُ ثُمَّ تَنْصَرِفُ بَعِيداً ،  
أَمَّا الْمُتَرَدِّدَةُ فَلَمْ تَأْخُذْ حِذْرَهَا ، وَكَأَنَّ  
الْأَمْرَ لَا يَعْنِيهَا فِي شَيْءٍ !

وَفِي الصَّبَاحِ ، انْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ  
إِلَى عَمَلِهِ طَلَباً لِلرِّزْقِ ، بَيْنَمَا كَانَ  
الصَّيَادَانِ يَتَّجِهَانِ إِلَى الْجَدُولِ ،  
وَعِنْدَمَا وَصَلَا إِلَيْهِ ، أَلْقِيَا بِشِبَاكِهِمَا  
فِيهِ ، فَكَانَتِ السَّمَكَةُ الثَّانِيَةُ أَوَّلَ  
ضَحِيَّةٍ فِي الشُّبَاكِ ... وَحِينَ وَجَدَتْ  
نَفْسَهَا مَحْوُطَةً بِالْحَبَائِلِ مِنْ كُلِّ  
جَانِبٍ اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الْفَرْعُ فَقَالَتْ

فِي نَفْسِهَا: لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا  
وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا! لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ  
الْحَذَرَ وَالْحَيْطَةَ؛ لِكَيْ لَا أَقَعَ فِي  
الشُّبَاكِ! وَلَكِنْ مَاذَا يُفِيدُنِي النَّدَمُ  
الآن؟! إِذَا: لَا بُدَّ مِنْ اتِّخَاذِ خُطَّةٍ  
مُحْكَمَةٍ كَيْ أَنْجُو مِمَّا أَنَا فِيهِ! وَمَا هِيَ  
إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى أَخْرَجَ الصَّيَادَانِ  
السَّمَكَةَ مِنَ الشُّبَاكِ، وَوَضَعَاهَا عَلَى  
حَافَةِ الْجَدُولِ، فَكَتَمَتِ السَّمَكَةُ  
أَنْفَاسَهَا، وَتَظَاهَرَتْ بِالمَوْتِ! فَتَرَكَاهَا  
وَنَزَلَا إِلَى الْجَدُولِ لِيُمَارِسَا فِيهِ الصَّيْدَ  
مِنْ جَدِيدٍ.

وَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ إِلَىٰ أَنَّهُمَا أَصْبَحَا  
بِعَيْدَيْنِ عَنْهَا؛ قَفَزَتْ فِي النَّهْرِ ،  
وَتَوَارَتْ بَيْنَ الصُّخُورِ وَالْمَرْجَانِ !!

وَأَمَّا السَّمَكَةُ الْمُتَرَدِّدَةُ..

وَبَعْدَ قَلِيلٍ لَمَحَ الصِّيَادَانِ السَّمَكَةَ  
الثَّالِثَةَ ، وَرَاقِبًا حَرَكَتَهَا؛ حَيْثُ كَانَتْ  
- كَعَادَتِهَا - حَائِرَةً مُتَرَدِّدَةً ، تَارَةً  
تَعُومُ بِجَوَارِ حَافَةِ الْجَدْوَلِ ، وَتَارَةً  
تَغُوصُ تَحْتَ الْمَاءِ ، وَتَارَةً تَقِفُ ،  
وَهَكَذَا دُونَ اتِّخَاذِ قَرَارٍ حَاسِمٍ ، فَأَسْرَعَ  
نَحْوَهَا الصِّيَادَانِ ، وَأَلْقِيَا عَلَيْهَا

الشُّبَّاکَ؛ وَهِيَ فِي ذُهُولٍ مِنْ أَمْرِهَا؛

لَا تَدْرِي مَاذَا تَصْنَعُ؟!

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

